الفصل الأول: العلة لغة

يستعمل المحدثون كلمة العلة واشتقاقاتها عدة استعمالات، فيقولون: علة الحديث كذا، وهذا حديث معل، ومعلل، ومعلول، ومعتل، وهذا تعليل وإعلال، وأعله فلان بكذا، وعلله بكذا، وعله بكذا.

فهل استعمالاتهم هذه صحيحة ومطابقة للأصل اللغوي للكلمة أم لا؟

هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا الفصل، وذلك من خلال بحثين: أولهما بيان المعاني التي يستعملها العرب لهذه الكلمة، وثانيهما: بيان أوزان اسم المفعول والمصدر من الثلاثي والرباعي.

المبحث الأول: المعاني التي يستعملها العرب لهذه الكلمة ومشتقاتها[(١)].

يستعمل العرب هذه المادة لإفادة معاني عدة، أشهرها أربعة:

١ـ تكرر أو تكرار.

٢ـ عائق يعوق عن الشيء.

٣ـ ضعف في الشيء.

٤ـ تشاغل وتلهي عن الشيء.

---

(١) استقيت هذه الخلاصة من: القاموس المحيط (٩٣٢) والصحاح للجوهري (٥/ ١٧٧٣ـ١٧٧٤) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٢) والمحكم والمحيط الأعظم لابن فارس أيضا (١/ ٤٤) ولسان العرب (١١/ ٤٦٧) والمصباح المنير (٦٧) وتهذيب اللغة (٣/ ٧٨) وانظر تاج العروس (٨/ ٣٢) والنهاية (٣/ ٢٩١) والمغرب للمطريزي (٢/ ٨) وشرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام (٨٦).

المعنى الأول: تكرر أو تكرار.

يقولون: عَل يعُل قياسا، ويعِل شذوذا، عَلاّ وعَللا أي سقاه ثانية أو مرة بعد أخرى.

ومنه أعل القوم: شربت إبلهم العَلَل والعلّ. وهو الشرب الثاني، وقيل الشرب بعد الشرب تباعا، يقال علل بعد نهل.

ومنه أعللت الإبل وعللتها: سقيتها ثانية.

وعَلّ الضارب المضروب: إذا تابع عليه الضرب.

والتعليل: سقي بعد سقي وجني الثمرة مرة بعد أخرى.

المعنى الثاني: عائق يعوق عن الشيء.

يقولون: اعتله عن كذا، واعتل عليه بعلة، يعتله اعتلالا، إذا أعاقه عن أمر، والعلة: حدث يشغل صاحبه عن وجهه، ويقال اعتله الدهر، وللدهر عَلَل.

المعنى الثالث: التشاغل بالشيء والتلهي به.

يقولون: عَلّله بالشيء يُعَلّله تعليلا فهو مُعلّل، أي لهّاه به، كما يعلل الصبي بشيء من الطعام عن اللبن، وتعلل بالأمر واعتل به: تشاغل.

المعنى الرابع: ضعف في الشيء.

يقولون: عل يعل علة فهو عليل، أي مرض، واعتل، وأعله الله يعله فهو مُعل ومعتل أي مريض، والعلة المرض، والعل الضعف من كبر أو مرض.

وبالتأمل في هذه المعاني نجد ما يلي:

أما المعنى الأول فبعيد من المعنى الذي لأجله استعمل المحدثون مصطلح العلة[1].

(١) زعم الدكتور همام سعيد في العلل في الحديث (١٦) أن هذا الاستعمال لا غبار عليه لا في اللغة ولا في الاصطلاح وتكون العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي أن العلة ناشئة عن إعادة النظر في الحديث مرة بعد مرة. اهـ

وأما الثاني : فقريب ، لأن العلة سبب يمنع ويعوق عن صحة الحديث .

وأما الثالث : فبعيد أيضا ، إلا من باب الاستعارة كما يأتي .

وأما الرابع : فهو الأشبه باستعمالاتهم .

وعليه فالأصح أن يقال : أعله فلان بكذا ، وعله ، فهو معل ومعتل ، وعليل .

المبحث الثاني : قياس اسم المفعول في اللغة[١] .

قياس اسم المفعول من الفعل الثلاثي هو : مفعول ، ويأتي على وزن فعيل ، وفعل ، وفعل شذوذا .

وقياس غير الثلاثي هو أن تجعل مكان أول مضارعه ميما وتفتح ما قبل آخره .

وعليه فعل قياس اسم مفعوله هو معلول ، ويأتي على وزن عليل .

وأعل قياس اسم مفعوله هو معل .

واعتل قياس اسم مفعوله هو معتل .

وعلل قياس اسم مفعوله هو معلل .

وقد قدمت قبل أن الأجود والأفصح أن يقال أعل فلان حديث كذا ، وعليه فاسم المفعول هو معل .

ويجوز أن تقول اعتل الحديث بكذا فهو معتل .

أما قولهم معلل ومعلول فمحل نظر و تأمل .

١ـ أما معلل فموجود في كلام أهل الحديث ، ونص عليه ابن الصلاح في مقدمته ، لكن تعقبه الحافظ العراقي في التقييد والإيضاح (١١٤) بقوله : والأحسن أن يقال فيه معل بلام واحدة لا معلل ، فإن الذي بلامين يستعمله أهل اللغة بمعنى ألهاه الشيء

---

(١) انظر لامية الأفعال لابن مالك وشرحها لابنه (٣٣ـ٣٤) وشرح بحرق (٦٧) .

وشغله به، من تعليل الصبي بالطعام، وأما بلام واحدة فهو الأكثر في كلام أهل اللغة وفي عبارة أهل الحديث أيضا. اهـ.

لكن العراقي مشى في ألفيته على أصله فقال:

وسـم مـا بعلـة مشـمول *** معلـلا ولا تقـل معلـول

وقال الترمسي في شرح ألفية السيوطي (٧٥) (المعل)وتعبيره به أجود من المعلل بلامين، لأن الأول مفعول أعل قياسا بخلاف الثاني فإنه مفعول علل.

وقال زكريا الأنصاري في شرح ألفية العراقي (١/ ٢٢٥): فالمعلل لا جودة فيه فإنه لا يجوز أصلا إلا بتجوز، لأنه ليس من هذا الباب بل من باب التعلل الذي هو التشاغل والتلهي، ومنه تعليل الصبي بالطعام كما ذكره هو أيضا. اهـ.

والتجوز الذي أشار إليه الأنصاري لعله هو الذي ذكر الحافظ السخاوي في فتح المغيث حيث قال (١/ ٢٢٥): ولا يقال معلل فإنهم إنما يستعملونه من علله بمعنى ألهاه بالشيء وشغله به، ومنه تعليل الصبي بالطعام، وما يقع من استعمال أهل الحديث له حيث يقولون علله فلان، فعلى طريق الاستعارة. اهـ

ونحوه في النكت على ابن الصلاح للزركشي (٢/ ٢٠٥).

فكأنهم شبهوا تعلل واشتغال المحدث بما في الحديث من علل خفية وغامضة باشتغال الصبي وتلهيه ببعض الطعام عن اللبن.

فوجه الشبه هو الشغل، كما قال علي القاري في شرح النزهة (١٣٢).

٢ـ أما معلول، فالخلاف فيه أكثر وأشهر، وأنكر جماعة على المحدثين استعماله فيما يقصدونه، منهم:

١ـ الحريري في درة الغواص، قاله العراقي في التقييد والإيضاح (١١٤)

٢ـ ابن سيدة في المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٤٦)، حيث قال: وبالجملة فلست

منها على ثقة ولا ثلج[١]، لأن المعروف إنما هو أعله الله فهو معل، اللهم إلا أن يكون على ما ذهب إليه سبويه من قولهم مجنون ومسلول[٢]، من أنه جاء على جننته وسللته، وإن لم يستعملا في الكلام استغني عنهما بأفعلت، قال: وإذا قالوا جن وسل فإنما يقولون جعل فيه الجنون والسل كما قالوا حزن وفسل.

٣ـ ابن مكي وغيره، حكاه ابن هشام في شرح قصيدة كعب بن زهير(٨٧). قال: وزعم الحريري أن المعلول لا يستعمل إلا بهذا المعنى، وأن إطلاق الناس له على الذي أصابته العلة وهم، وأنه إنما يقال لذلك: معل من أعله الله، وكذا قال ابن مكي وغيره، ولحنوا المحدثين في قولهم حديث معلول، وقالوا: الصواب معل[٣] أو معلل.[٤]

٤ـ الفيروزأبادي، إذ قال في القاموس (٩٣٢): ولاتقل معلول، والمتكلمون يقولونها ولست منه على ثلج.

٥ـ ابن الصلاح إذ قال في مقدمته: ويسميه أهل الحديث المعلول، وذلك منهم ومن الفقهاء في قولهم في باب القياس العلة والمعلول، مرذول عند أهل العربية واللغة.

٦ـ العراقي، حيث قال في ألفيته:

وسم ما بعلة مشمول *** معللا ولا تقل معلول

٧ـ النووي، قال في التقريب: المعلل، ويسمونه المعلول، وهو لحن.

٨ـ السيوطي، إذ تبع النووي في شرح التقريب (١/ ٢٥١)

ووجه إنكارهم أن معلول اسم مفعول من عله يعله، بمعنى سقاه ثانية، وليس هناك علاقة بين هذا المعنى والمعنى الذي يقصده المحدثون.

(١) أي ولا اطمئنان.

(٢) تقول: سللت السيف أي نزعته وأخرجته برفق. اللسان (١١/ ٣٣٨).

(٣) في الأصل معيل.

(٤) كذا في الحديث المعلل (١٢-١٣).

لكن خالفهم آخرون وأثبتوه، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ كما قال زكريا الأنصاري، ومنهم:

١ـ أبو إسحاق الزجاج، حكاه عنه ابن سيده في المحكم (١/ ٤٦)، فقال: واستعمل أبو إسحاق لفظة المعلول في المتقارب من العروض فقال: وإذا كان بناء المتقارب على فعولن، فلابد من أن يبقى فيه سبب غير معلول، وكذلك استعمله في المضارع فقال أخر المضارع في الدائرة الرابعة لأنه وإن كان في أوله وتد، فهو معلول الأول. اهـ.

٢ـ ابن القوطية في أفعاله (١٨٧)[١]، إذ قال: عل علة مرض وعل الشيء أيضا أصابته العلة.

٣ـ قطرب في فعلت وأفعلت، حكاه اللبلي[٢].

٤ـ الجوهري في صحاحه (٥/ ١٧٧٩)، إذ قال: واعتل أي مرض فهو عليل، ولا أعلك الله، أي لا أصابك بعلة وعل الشيء فهو معلول.

٥ـ المطريزي في المغرب(٢/ ٨).

٦ـ ابن هشام في شرح قصيدة كعب بن زهير (٨٦ـ٨٧).

قال كعب بن زهير:

تجلـــو عـــوارض ذي ظـــلم إذا *** كأنهـــا منهل بالـــراح معلـــول

قال الشارح: قوله (معلول): اسم مفعول، كما أن منهلا كذلك، إلا أن فعله ثلاثي مجرد، يقال: عله يعله بالضم على القياس، ويعله بالكسر ـ إذا سقاه ثانيا...

١ـ الزركشي في النكت على ابن الصلاح(٢/ ٢٠٥): والصواب أنه يجوز أن يقال عله فهو معلول من العلة والاعتلال، إلا أنه قليل.

(١) شرح العلل (١٤) وتوجيه النظر لطاهر الجزائري (٢٦٤)
(٢) التقييد والإيضاح (١١٤) وغيره.

٢ـ الفيومي في المصباح المنير، حيث قال: عل الإنسان بالبناء للمفعول مرض، ومنهم من يبنيه للفاعل من باب ضرب فيكون المتعدي من باب قتل فهو عليل، والعلة المرض الشاغل، والجمع علل مثل سدرة وسدر، وأعله الله فهو معلول، قيل من النوادر التي جاءت على غير قياس، وليس كذلك فإنه من تداخل اللغتين[1]، والأصل أعله الله فعل، فهو معلول، أو من عله، فيكون على القياس، وجاء معل على القياس، لكنه قليل الاستعمال.

٣ـ أكثر المحدثين كالترمذي والدارقطني وابن عدي والحاكم والبخاري وغيرهم.

٤ـ الأصوليون والفقهاء.

لكن قد قال البلقيني في محاسن الاصطلاح (٢٥٩): لا يقال ليست مرذولة، حكاها صاحب الصحاح والمطرزي وقطرب ولم يترددوا، وتبعهم غير واحد، لأنا نقول: المستعمل عند المحدثين والفقهاء والأصوليين إنما يقصدون به أن غيره أعله، لا أنه عل بنفسه، والذي ذكره الجوهري: عل الشيء هو معلول وما ذكره في أول المادة من أن عله الثلاثي يتعدى، فذاك في السقي (أي بمعنى سقاه)، وحينئذ فصواب الاستعمال: المعلل إذا كان من علل. اهـ.

قلت: وفي هذا التصويب نظر يعلم مما تقدم.

وقال الشيخ طاهر الجزائري في توجيه النظر (٢/ ٥٩٩): وقد أنكر بعض العلماء ذلك من جهة اللغة وأنهم قالوا إن المعلول في اللغة اسم مفعول من عله إذا سقاه السقية الثانية.

وتعقبهم آخرون فقالوا قد ذكر في بعض كتب اللغة عل الشيء إذا أصابته علة، فيكون لفظ معلول هنا مأخوذا منه.

---

(١) هي أن يأخذ الماضي من لغة والمضارع من لغة أخرى. كما في الخصائص لابن جني(٢/ ١٨) والمزهر للسيوطي(١/ ٢٦٢).

قال ابن القوطية: عل الإنسان مرض، والشيء أصابته العلة، فيكون استعماله بالمعنى الذي أرادوه غير منكر، بل قال بعضهم: استعمال هذا اللفظ أولى لوقوعه في عبارات أهل الفن مع ثبوته لغة ومن حفظ حجة على من لم يحفظ. اهـ.

والخلاصة: أن الأصح أن يقال: أعل فلان الحديث بكذا يعله فهو معل، وهذا إعلال.

ويجوز أيضا أن يقال: اعتل الحديث بكذا فهو معتل، وهذا اعتلال، وممن يكثر من استعمال هذا اللفظ ابن القطان في بيان الوهم والإيهام ولبعض حفاظ الأندلس كتاب: المعتل من الحديث[١].

ويجوز أن يقال عله يعله فهو عليل، ولم أر من أطلق على الحديث المعل: عليلا.

ويجوز كذلك أن يقال: علله بكذا يعلله إعلالا، فهو معلل من باب الاستعارة.

ويجوز كذلك أن يقال: عله فهو معلول، إما من النادر الاستعمال، وإما من باب تداخل اللغتين، كما قال الفيومي.

---

(١) هو الحافظ عبد الحق الإشبيلي.